

أدلجة السرد وتسريد الأدلجة "قراءة في نماذج من الرواية السعودية"

د. منال بنت عبدالعزيز العيسى

جامعة الملك سعود

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

تقديم:

لا يمكن مقارنة النصوص الروائية من الداخل فقط ، بل لابد من اعتماد مقارنة خارجية في محاولة لفهم النص في إطار سياقه التاريخي والاجتماعي والاقتصادي . وقد أشار سعيد يقطين إلى مفهوم " البنية النصية الكبرى " التي يتحول فيها الأدب إلى: " مؤسسة اجتماعية لإنتاج القيم النصية والثقافية العامة وإعادة إنتاجها " ¹ ، كما أشار محمد مفتاح إلى كون النص : " مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة " ²

لذا تبدو أهمية العلاقة بين النص والأيدولوجيا ، باعتبار النص صورة من صور الأيدولوجيا ، والأيدولوجيا صورة من الواقع المحيط بالنص الروائي .

وقد أشار جورج لوكتاش إلى أهمية علاقة الأدب بالواقع - وأكد على أهمية هذه العلاقة ، كما أشار لذلك لوسيان غولدمان فذهب إلى : " إقرار العلاقات المباشرة بين البيئة الاجتماعية - الاقتصادية من جهة ، وبنية الأدب من جهة أخرى ، مدخلا تحت مفهوم البنية كل من الشكل والنوع الأدبي ومبادئ تصوير الواقع " ³

وتتجسد الأيدولوجيا داخل الخطاب الروائي من خلال ماديات لغوية ، لا يمكن لها أن تمتلك دلالة بمعزل عن السياق الفكري الذي تتناوله أو تعبر عنه . يقول ميشيل فوكو عن علاقة الخطاب بالأيدولوجيا : " أفترض أن إنتاج الخطاب في مجتمع ما هو في الوقت نفسه إنتاج مراقب أو منتقى ومنظم ومعاد توزيعه . من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطانه و مخاطره ، والتحكم في حدوثه ، وإخفاء ماديته الثقيلة " ⁴

فالنص الأدبي يتحول بواسطة اللغة إلى رسالة مُحملة بالعديد من المفاهيم والشفرات ، وعلى الباحث أو القارئ لذلك النص أن يبرز علاقة النص بالأيدولوجية المحيطة به .

من هنا فاللغة تجسد الأيدولوجيا من خلال علاماتها ، التي تحملُ وعيا خاصا بفكر ومنهج صاحبها ، وبالتالي يتحول الخطاب الأدبي لشكل من أشكال الأيدولوجيا " تتحصلُ (الكلمات) على معانيها من خلال المواقف الأيدولوجية " ⁵

وما يهمنا هنا ، هو العلاقة بين النص الروائي والأيدولوجيا المصاحبة له ، فقد اهتمت النظرية الماركسية من خلال أعلامها (جورج لوكتاش - لوسيان غولدمان) بالعلاقة بين البنى الاجتماعية والاقتصادية من جهة ، وبين الأدب من جهة أخرى ، ودور الكاتب (بالنسبة لهم) هو إعادة صياغة الواقع - من وجهة نظره - في نص أدبي تخيلي . مستخدما في ذلك الإنزياحات اللغوية بكل مجازاتها واستعاراتها . ليصبح النص الأدبي " نتيجة تعاقد آني ما بين الكاتب والوسيلة " ⁶

ويدعو لوكتاش لضرورة التفريق بين " أيدولوجية الكاتب بوصفه إنسانا ، وأيدولوجيته كتاباته التي لا تخضع إلا لمنطق الكتابة ونسيج الدلالات " ⁷

فالنص يعكس ما يشعر به الكاتب تجاه الواقع المحيط به ، لا ما هو واقع بشكل فعلي ، ومن هنا جاءت فكرة الانعكاس التي أشار إليها بيير ماسري بقوله : " إن صورة الواقع كما تمثلها في مرآة النص لا ينبغي البحث عنها في الواقع ، بل بالشكل الذي تم رسمه داخل المرآة " ⁸ مؤكدا بهذا على قدرة الكاتب التركيبية واللغوية في عرض الأيدولوجيا ، كشفها ،

ومحاورتها من خلاله لا من خلالها .

أما باختين ، فقد قدم للنقد " علم اجتماع الأدب " ، وقسم الرواية إلى : رواية حوارية أو ديالوجية (تعدد الأصوات) و رواية منولوجية (الصوت الواحد) ، واستعرض من خلال هذا التقسيم علاقة الرواية بالأيديولوجيا المحيطة بها . واهتم في الوقت ذاته بدور اللغة المشحونة بالأيديولوجيا في تجسيد الواقع الاجتماعي المعبر عنه . فهو يرى أن : " كل شخصية ، وكل هيئة تمثل في الرواية إلا ولها صوتها الخاص ولغتها الخاصة ، وأخيرا أيديولوجيتها الخاصة . وهكذا فلا حاجة تدعو إلى مقابلة الرواية بالواقع ، لأن الواقع حاضر على المستوى اللساني نفسه " 9

ويمكن للنص الواحد أن يستوعب رؤى أيديولوجية متعددة من خلال الشخصيات ، وقد أشارت جوليا كريستيفا إلى فكرة تعدد الأصوات في النص ، وأنه كلما تعددت الأصوات كلما أصبح النص أكثر غنى وثراء تقول " النص المتعدد الأصوات Polyphonique الحاملة للشكل " 10

والتعدد اللغوي يؤيد تعددا أيديولوجيا داخل النص الروائي غير برئ ، فكل صياغة يُعاد إنتاجها " تُدرك باعتبارها نسخة تندرج ضمن نموذج يجعلها قابلة للإدراك " 11 ، وبالتالي تتفاعل الأيديولوجيات داخل النص الأدبي معبرة عن موقف الكاتب ، ورؤيته للعالم ، لتصبح الرواية عنصرا أيديولوجيا ضمن نظام معرفي أشمل .

وقد اعتبر باختين الدليل اللغوي في النص الأدبي مشحونا - في الغالب 0 بأيديولوجيا تجسد الصراع الاجتماعي وتدخله في سياقه ، يقول أن : " كل شخصية وكل هيئة تمثل في الرواية إلا ولها صوتها الخاص ولغتها الخاصة ، وأخيرا أيديولوجيتها الخاصة ، وهكذا فلا حاجة تدعو إلى مقابلة الرواية بالواقع لأن الواقع حاضر على المستوى اللساني نفسه " 12

تأطير

قدم بول ريكور في كتابه " الأيديولوجيا والبيوتوبيا " معان ثلاثة للأيديولوجيا ، استنبطها من كتابات الفلاسفة ، وهي :

13

1- **الأيديولوجيا بوصفها تشويه** . والتشويه يعني وفق تحليل ريكور " لغة مفارقة للغة الحياة العادية التي من سياتها كون الأفكار والمفاهيم ، وكل ما يتصل بمنتجات الوعي محايا ومتعاليا في آن ، ومندمجا بشكل مباشر في فسيفساء الفعاليات المنتجة للتعاملات المادية البشرية " 14

2- **الأيديولوجيا بوصفها إضفاء للشرعية** . وتعني محاولات " سحب الرمزية عن الحياة الممارسة ، وبناء وتعميم رمزية بديلة " 15 ويرى عبداللطيف محفوظ أن ريكور ركز في هذا المستوى على " ثنائية الادعاء والاعتقاد بوصفها ملتقى الفعل الرمزي للخطاب الأيديولوجي ، حيث يربط سيرورة الادعاء بالسلطة ، بينما يربط الاعتقاد بالمحكومين " 16

3- **الأيديولوجيا بوصفها إدماج** . ويعني هذا المستوى " ربط التواصل الحايث بين منظومة القيم ، بما فيها المدونات الأخلاقية والقانونية والثقافية وبين أشكال تمثلاتها التي تترجمها في مستوى الفكر العملي إلى قنوات فكرية وممارسات عملية ، مسؤولة عن تظاهراتها في لغة وفعل الحياة الواقعية " 17

والأيديولوجيا تدخل للنص الروائي كعناصر جمالية ، لا تؤدي إلا وظيفة التشكيل لمادة العمل ، تقول جوليا كريستيفا : " إن النص المتعدد الأصوات polyphonique الحاملة للشكل " 18

1- نقلا عن: عبداللطيف محفوظ ، بناء الدلالة الأيديولوجية في الرواية العمانية ، منشور في كتاب " الرواية العمانية برؤية عربية ، بيروت ، دار سؤال ، ط1 ، 2016م ، ص:

174

تركيب

انطلاقاً من تقسيم ريكور السابق ، سنعمل على افتراض نمذجة خاصة للأيديولوجيا التي تظهرت في بعض النصوص الروائية السعودية ، باعتبار أن الأيديولوجيا " خطاب محدد هو خطاب سلطوي سائد ، لنظام قائم أو لجماعة سياسية أو ثقافية ، يدعمه أو يناقضه أو ينتقده سلمياً وحسب " 19

وهذا الانتقاد يأخذ حسب الأوضاع المحيطة بجماليه أولاً سمة " التشويه " بوصفه : " مرحلة أساسية لبناء خطاب أيديولوجي مفارق للخطاب السائد " 20 ، وثانياً سمة " إضفاء الشرعية " في مستويين : "أما على الرمزية المراد بناؤها....أو على الشرعية السائدة " 21

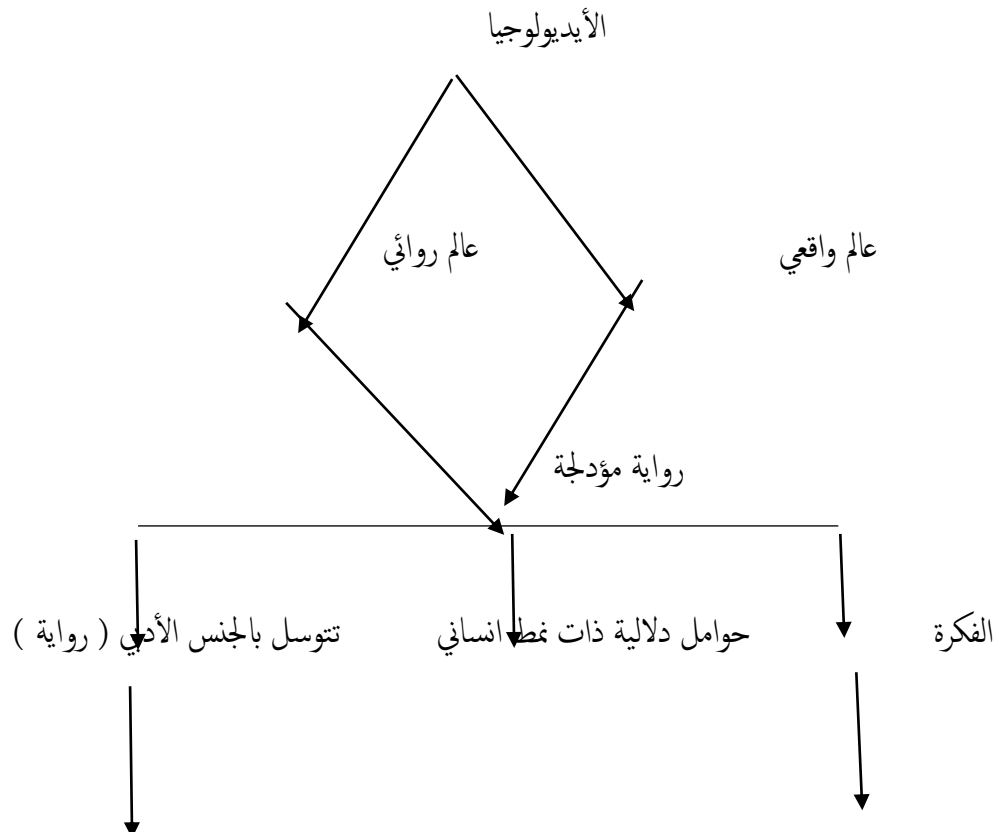
ومن المهم ملاحظة أن ليس كل مكونات الخطاب الأيديولوجي تتظهر في النص الروائي ، وإذا تظهرت فليس من الضروري أن تظهر بتلك التراتبية ، لأن " العمل الأدبي ليس خطاباً أيديولوجياً محضاً ومباشراً " 22 ويؤكد عبداللطيف محفوظ أن النص الروائي يقبل - في الغالب - أن يكون رافداً من روافد الأيديولوجيا بشرط : 23

- ربط الخطاب الأيديولوجي ببنية الخطاب الرمزي للنص .

- وجود قارئ مجرد ، يستطيع فك سنن الكاتب الخفية .

يقول " تقوم الرواية على كتابة عالمها الممكن بين حالات العالم وحالات الفكر ، ويتحول هذا التقاطع في مؤشرات لغوية تضطلع في آن بتمثيل الحالات بنوعها " 24

يمكن ترسيم الأدلجة السردية ، أو السرد المؤدلج بهذا الشكل :



الموجهة

ترسم من خلاله الإطار الزماني
والمكاني والعلاقة بين الشخصيات المحيطة بها

- ويطرح عبداللطيف محفوظ مراحل تمظهر الإيديولوجيا في النص الروائي ، وهي :
- 1- الإظهار ، المؤشر على وعي " يصفى العملية السردية ويقودها للحكاية " ²⁵
 - 2- تحويل الفكرة إلى حكاية " حيث تحدد تلك الحكاية موقفا ما من شكل حياة ما " ²⁶
 - 3- توجيه الإدراك " الى ذلك الموقف بفضل حصره وتحديد " ²⁷
 - 4- تشعيب السرد وتمييز غايات الحكاية .
 - 5- خلق كائنات إنسانية (الشخصيات) ، تسند لها أفعالا وطوية ، وتدمج في زمن حي يجري داخل زمن تاريخي ما معين أو مكث عنه .
 - 6- التظهير اللغوي .
- وهكذا يتضح أن الفكرة الأيديولوجية تنطلق " من مراحل التفكير المجرد ، ويستمر التثبيت النهائي للموضوعات في المنتج الذي نسميه نصا " ²⁸

بناء على ماسبق سنحاول مقارنة أدلجة السرد وتسريد الأدلجة في الرواية السعودية من خلال تعيين المقصود بالعنوان الرئيس للبحث :

- أدلجة السرد ، نقصد كيف يمكن أن يؤدج السرد الروائي - بحيث يصبح حاملا لقيم أيديولوجية تعبر عن المحيط الاجتماعي ، السياسي ، الديني ، الثقافي للرواية السعودية .
- تسريد الأدلجة ، ونقصد به كيف يمكن أن يحمل السرد في مستواه الخطابي الداخلي ملامح الإيديولوجيا سواء أكان ذلك في لغته أم شخصياته أم فضائه المكاني والزمني .

يتناول البحث عدد من الروايات السعودية المؤدجة ، والتي تنقسم في ثيمتها الرئيسة ما بين :

- الأدلجة الدينية

- الأدلجة الاجتماعية

ويمكن ترسيمها بالشكل الآتي :



فالروايات تناولت فكرا مؤدلجا عرض أصحابه له من خلال الجنس الروائي - باعتباره (وفق الفكر الماركسي) بنية تحتية تعبر عن بنية فوقية فكرية سائدة في المجتمع .

أولا - الأدلجة الدينية .

ظهرت في رواية : الآخرون ²⁹ ، الإرهائي ³⁰ وهي روايات عرضت للتطرف الديني في مستوييه الطائفي والعقدي كما ظهر في المجتمع السعودي .

1-المستوى الطائفي .

عرضت صبا الحرز في رواية **الآخرون** في بينيتها الضامة فكرة مايشعر به الشيعة من اضطهاد طائفي تشكلت ملامحه في شعور الذات ، وقد شكل هذا البعد الشيمة الأبرز في الرواية رغم محاولة الكاتبة تغليفه برداء جنسي ظاهر . فهي ذات متأرجحة بين معتقداتها الطائفية وواقعها الإنساني الشاذ ، والذي لم يحل بينها وبين ممارساتها الشخصية في إقامة علاقات جنسية شاذة مع بعض صويحباتها .

تقول معترفة بذلك : " وهي تصرخ في وجهي بأني أهز عرش الله في سائه الحك الآن أن جسدي صار خطيئة وعلي أن أدفنها بالسرعة الممكنة ، وإلا سيغالبنني ويفلت مرة أخرى " ³¹ وتدرك الذات تناقضاتها بين المخفي والمعلن ، فهي تعيش حياة مزدوجة " أهئي دروسا صيفية مكثفة في الفقه والتوحيد والأخلاق كي لا يطالع أحد على ما كنت أحدثه في حياتي البعيدة عن عيون الآخرين " ³² وتعلن أن خوفها دائما ما يكون من الآخرين / المجتمع / الدين / المحيط " الآخرون ، الآخرون على الدوام ، حذري الأول ، وسبب مخاوفي " ³³

وتظهر بعض من تناقضاتها في الولاء لإيران وهي سعودية تقيم في المملكة " كنت أثير حنقه بشتيمته " يا أمريكي " بالنسبة إلى أطفال يستيقضون على نشيد " الموت لأمريكا " على إذاعة إيران كل نهار " ³⁴ وتسرد ملامحها الطائفية الشيعية قائلة: " صحيح أنني ورثت إرثا باهضا من البكاء ، يعود لعهد سحق في قدمه ، منذ كربلاء ونحن نبكي ، ودموعنا لا تنضب . ومنذ كربلاء تعلمنا كيف يكون بكاؤنا فعلا يوميا مستمرا ، لا موسميا يبيعنا بضاعته ويرحل " ³⁵

وبسبب معتقداتها الطائفية تعاني غيرها من أفراد الشيعة داخل مجتمع أغلبه سني ، تقول عن معاناتها في الجامعة : "

باستثناء محرم ، إذ تغلق مداخل المباني وتقام نقاط أشبه بنقاط حواجز التفتيش على الطريق ، حينذاك تصبح المخالفة الرئيسية ارتداء القمصان السود والتي يشكل لبسها في ذلك الوقت من العام عرفا قائما لدينا ، نحن الشيعة . كنا بدورنا نصر على ارتداءها ، فيما يبدو رفضا صامتا لمحاولة فعالة لنفي اختلافنا ، ولو كان اختلافا لونيا " 36

إذن ، الآخر هنا طائفي / مذهبي / شيعي رغم محاولات الكاتبة أن تعطيه دلالة جنسوية فردية / الشذوذ ، فهو آخر جمعي لا فردي لأقلية تعيش في مجتمع سني لا يؤمن بالاختلاف ولا يتقبله .

والى هذا أشارت بضمير النحن قائلة : " لم نول الأمر أكثر مما يستحقه . كنا نتجاوزه بقليل من التفكه وكثير من التجاهل ، من دون أن ندع فكرة التضييق تسيطر علينا ، وبقدر ما كان المظهر يتضخم ، كنا نتسرب من تحته ببساطة من دون أن نفعل مواجحة زائدة كنا أقرب للترفع عن الخصومة بمدنا البشري وعلامة اختلافنا نبرز فجأة " 37

وتعرض مواقفهم / النحن تجاه الآخر : " تميزنا الآن صارخ في قميص أسود نرتديه بإصرار عجيب ، ماخيف أصلا في أن نختلف ؟ ألأننا نشكل عاصفة من علامات الاستفهام ، نتحرك في فضاء خامل ، لم يسبق أن عرف ماهية التساؤل أو كينونة الاختلاف ؟ ألأننا نطلق كثافة من الحضور ليس معترفا بها على خريطة الأرض أو بين أخاذ القبيلة " 38

هنا وفي مجمل الرواية يتأدلج السرد في فكرة ضامة رئيسة مفادها : الآخر الشيعي مقابل الأنا السني ، بحكم سلطة الأخير السياسية والاجتماعية والدينية كواقع ، وبالتالي تعبر الكاتبة عن فكرتها الرئيسية بعرض ما تعتقد بوجوده في ذلك المجتمع من حصار وتضييق طائفي لا يقبل الآخر المختلف عنه .

ويرى محمد الحبو أن استخدام ضمير المتكلم في صيغة الجمع " يحيل على ذات جماعية عامة توهم بتحري الحقيقة ، ولا تتصل بذات المتكلم أو شخصيته 39 فالرواية في الآخرون تحاول الاتجاه بالمروي له لواقع الطائفة الشيعية ، وهنا يتلاقى صوت الراوي بالمروي له من الشيعة .

وتستمر في عرض هذه الإشكالية الطائفية التي انسحبت على مجمل الوطن ، وليس مجرد المكان المحدود الذي تعيش فيه سواء أكان قرية من قرى القطيف - أو جامعة من جامعات الوطن ، تقول : " ولأننا أقلية ، في الحقيقة لم نكن أقلية يوما على صعيد الكلية ، إنما على صعيد الوطن ، كانت إمكانية دخول آخر مختلف على أي تكتل مهما صغر من تكتلاتنا ، أمرا غريبا ويؤخذ بريبة تامة نحن والآخرون ، نميل للتحفظ وحماية أنفسنا ، باعتبار أن الدخول ، في واحد من احتمالاته ، ربما يكون اختراق غير طيبة إطلاقا ، وعند الآخرين ، كانت فرصة دخولنا أكبر ، محمية بكونهم كثرة ، وأن احدا من العنصر الأضعف في المقارنة إذا ، لم يكن ثمة تعايش حقيقي ، ولا اندماج يعول عليه ، ولا حتى تقبل مبدئي وبدائي أيضا من واحدنا للآخر " 40

وعليه فإن أدلجة النص الروائي المدروس هنا " الآخرون " ينبنى عن معنى الأيديولوجيا بوصفها تشويها ، وفي هذا المستوى الفلسفي للأيديولوجيا كما عرضها - بول ريكور - تبدو الأيديولوجيا كما لو كانت خطاب تشويه " ينغيا قصديا نقض لغة الحياة الواقعية " 41 بالرغم أن ما هو واقعي هو ما تحدده المجموعة الاجتماعية للطائفة الشيعية كما هو لا كما عكسته الكاتبة ، وبالتالي يمكن اعتبار هذا المستوى تخيليا تأسس على انعكاسات وشعور بعض أفراد الطائفة الشيعية بواقعهم ، فاللغة الأيديولوجية للنص استقلت ذاتيا عن البنية الاجتماعية المحيطة به ، بشكل متحاith ومتعال في الوقت نفسه .

ولكن في الوقت ذاته استخدمت البنية الضامة بشكلها العام لتعرض فكرتها، يقول عبداللطيف محفوظ عن البنية الضامة أنها " تتصل " بالحكاية " الاطار التي تحتوي الموضوع الدينامي وتوجهه ، وهي مناط الموقف الأيديولوجي ، إنها بذلك تخلق الموضوع الدينامي الذي هو موضوع مباشر للرواية " ⁴²

وقد استخدمت الكاتبة أيضا البنية المضمومة ، وهي التي تقدم مسبقا موقف الشيعة من الاضطهاد الطائفي الذي عرضته بضمير النحن ، وبالتالي فإن البنية المضمومة تشرح وتفسر البنية الضامة ، يقول عبداللطيف محفوظ : " ومن هنا لا يكون الموضوع الدينامي ، الذي يولد حكايات البنية المضمومة المتراسة ويحفرها إلا تشريحا وتفسيرا وتمطيها جاليا للنية الضامة " ⁴³ فتتحول بقية الرواية في مظهراتها السردية من زمان ومكان وشخصيات ورؤية أو وجهة نظر لتشرح وتعلل وتفسر الفكرة الضامة الرئيسة ، وهنا يمكن أن نشير أيضا في اطار البنية المضمومة لرواية الآخرون لعلاقة الكاتب بالراوي ، من خلال القرائن التي ظهرت في النص الروائي ، ولعل من أهمها - في هذا النص - بالإضافة لأدلجة السرد ، ما يسمى بـ " الايهام بواقعية ما يروى عن طريق الاعتماد على الحداث التاريخية ، فقد ظهر التوظيف الايهامي عن طريق ادراج الاحداث التاريخية التي مرت بها منطقة القطيف في " الفضاء المكاني للرواية " ، ومنها ثورة القطف عام 1400 ، وحرب الخليج 1990 ، وبعض من أهم الظواهر التاريخية للشيعة .

واللغة طغى عليها الطابع الشعري من خلال ضمير المتكلم / أنا ، فقد حفلت الرواية بلغة غنائية كثيفة الدلالة ، بحيث أصبحت الذات قادرة على استخدام اللغة وسيلة من وسائل التعبير عنها ، وبذلك برزت ملامح " البوليفونية " . كما ظهر السرد التابع في هذه الرواية ، فالراوي قام برواية أحداث سبقت زمن السرد ، من خلال الانتخاب لما يتوافق وثيمة الرواية الرئيسة .

ويمكن تصنيف الراوي على أنه راو من الدرجة الأولى ، لذلك فالتبئير داخلي ثابت ، يتعلق بالشخصية المدركة أو الفاعلة أو الرائية ، من خلال استخدام ضمير المتكلم : أنا / النحن الذي وظف أدواته لعرض إشكالية الذات الشيعية بكل ملامحها الاجتماعية ، والدينية ، والسياسية ، والفلسفية ، وهو ما أشار إليه توماشفسكي بالرؤية ضمن السرد الذاتي subjectif ، والذي ظهر في كثرة استخدام المجاز المعتمد على الوصف ، والوصف الداخلي للعوامل الذاتية للأنس الرواية ⁴⁴ .

وهذه الرؤية الذاتية للعالم المحيط ، والتي يمكن أدلجتها في السرد الروائي كان بوريس أوسبنسكي قد عدها ضمن مستويات القص في العمل الأدبي ، حيث أنه يمثل عنده " منظومة القيم العامة لرؤية العالم ذهنيا " ⁴⁵

وقد أشار باختين أن أهمية ظهور الأيديولوجيا في النص الروائي قائلا : " إن خلو الرواية من الأيديولوجيا وهم . فالمتكلم في الرواية منتج أيديولوجيا دوما " ⁴⁶

عرض عبدالله ثابت في روايته " الإرهابي " من خلال الراوي " زاهي " موقفه من تطرف الجماعات الدينية في المملكة بدءاً من سبعينات القرن الماضي وصولاً للألفية الثالثة في سنواتها الأولى من خلال الأنا الساردة ، المطلعة على مفاصل الحكاية وخبائها .

والرواية تتحدث عن فتى يعيش في جنوب المملكة العربية السعودية (أبها) عاصر حياة أسرية قاسية ، كان الأب فيها ممثلاً للسلطة الذكورية المهيمنة على مسار حياة الأسرة بأكملها ، وكانت المدينة " أبها " أشبه بقرية مغلقة تتكاثر فيها الجماعات الدينية المتطرفة من خلال المدارس والمساجد والمعاهد الصيفية .

في ظل هذا الواقع الاجتماعي المغلق تدرج " زاهي " في الجماعات المتطرفة بدءاً من المدرسة بمراحلها (تحفيظ القرآن الابتدائية / المتوسطة / الثانوي) مروراً بالمعاهد الصيفية ، وانتهاء بالرحلات الموسمية للعمرة والحج .

وقد استطاع " زاهي " أن يكتشف حقيقة تلك الجماعات بشكل تدريجي من خلال المواقف التي تعرض لها ، والتي ساهمت في تغيير مساره الإنساني ، والاجتماعي ، والفكري ، والعلمي من متطرف إلى كاشف للتطرف في ثنائية إنسانية متضادة .

ويمكن ترسيم البنية الضامة للرواية من خلال المحور الدلالي الآتي :

موقف زاهي من التطرف الديني : انتاء // لا انتاء ، حب // لا حب ، العنف // السلام .

وهي بنية تتصل بالحكاية ، أي الموضوع وتوجهه - لتعبر عن موقف ذات عايشة التطرف كمرحلة من حياتها الحقيقة إذ كانت عنصراً في تلك الجماعات ، عاصرتهم ، وآمنت بفكرهم - ثم أدركت تناقضاتهم وانفصلت عنهم لتكون عينا ناقدة بدلاً من عين مؤيدة ومناصرة لهم .

وهذا هو الموضوع المباشر للرواية في بنيتها الرئيسة / الضامة ، وهي بذلك تقدماً موقفاً مدركاً لواقع الجماعات المتطرفة بصوت أحدهم ، وتحكم عليهم بالفشل والتناقض ، وبأنهم مصدر من مصادر الإرهاب في العالم العربي بأكمله .

وتظهر الأيديولوجيا في هذه الرواية بوصفها إدماجاً ، كونها نوع من ربط " التواصل المحايث بين منظومة القيم ، بما فيها المدونات الأخلاقية والقانونية ، والثقافية ... ، وبين أشكال تماثلها التي تترجمها في مستوى الفكر العملي إلى قنوات فكرية وممارسات عملية ، مسؤولة عن تظاهراتها في لغة وفعل الحياة الواقعية " ⁴⁶

فمنظومة القيم الدينية السائدة في الفترة الزمنية للرواية (1970-2003) متأرجحة ما بين التطرف ، والتسلط ، والقمع ، والسيطرة التامة على مفاصل الحياة اليومية المعيشة سواء أكان ذلك في المستوى اليومي ، أم الفكري ، أم التعليمي . بحيث تحولت في فترة ما لقنوات فكرية متأصلة في المجتمع يصعب اجتثاثها أو الحد من سيطرتها ، وبالتالي أنتجت سلوكيات فكرية وعملية متطرفة داخل وخارج المجتمع الصادرة منه .

يقول زاهي عن سمات التغيرات التي لحقت بمجتمعه بعد سيطرة الفكر الديني المتطرف على مدينته الهادئة : " مجتمعنا الجنوبي كان جميلاً ميالاً للموسيقى ، وحكايات الحب به لا تنتهي ، لقد عاش الناس هنا حياة شفافة ورقيقة وفطرية ، رغم بدائيتها . كان هذا قبل أن يأتي عرف آخر ، الذي حرم كل شيء وجعله عاراً نشأت في بدايات هذا الاعتساف وحدته ، فكانت المرأة مغيبة تماماً عن عالم الذكر ، والذكر مغيب عن حياة الأنثى " ⁴⁷

2- عبد اللطيف محفوظ ، بناء الدلالة الأيديولوجية في الرواية العمانية ، ص: 176

3- الأزهري ، عبدالله ثابت ، ص: 49

تشعب هذا الفكر المتطرف ليمتد للمدارس والأطفال ، لينشئ قاعدة دينية مؤدلجة تخدم مناهج توجهات سياسية ودينية خارجة عن سلطة القانون ، وقد ساعد الأهل في بناء هذه المنظومة اعتقاداً منهم أنها الأفضل والأصلح للأطفال لتحميمهم من المجتمع .

كان زاهي أحدهم الذي أجبره والده على دخول مدرسة تحفيظ القرآن الابتدائية دون أن يدرك حجم التناقض الذي سيزرعه في نفس ولده " لبست الثياب القصيرة ، وهذلت الشماغ على صدغي ..تعلمت كلماتهم ودعواتهم الخاصة ، لكنني كنت كائناً آخر في داخلي ، أحب الأغنيات والصور والرسم واللعب أجل كنت أصلي ..لكنني لم أكن على وضوء " 48 وبعد انتهاء سنوات الدراسة الست في المرحلة الابتدائية ، وبعد أن أتم زاهي حفظ القرآن ، انتقل للمرحلة المتوسطة والثانوية في مدراس عادية بعد أن رفض أكمل تعليمه في تلك المدارس ، وفيها كانت بداية علاقته بالجماعات المتطرفة " بالرغم من أن المدارس جميعاً كانت في بدايات تعرضها لموجة التدين إلا أنها كانت أخف وطأة مما كان يحدث بالمدارس القرآنية من إكراه جميع الصغار على التدين وبمنتهى القسوة " 49

إذن ، يمكن اعتبار منظومة القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية للمجتمع الصغير في تلك المدينة " أبها " تتوافق والتوجهات الدينية التي سيطرت عليها توافقاً يعتقد بأفضليتها للجيل الجديد . لكن ممارساتها الفعلية ، وتطهراتها الأخلاقية كانت عكس ذلك مما جعل الإيديولوجيا إدماجاً متناقضاً بين منظومة القيم وبين تمثلاتها الحقيقية في الواقع المعاش .

أما البنية المضمومة ، فقد أسست خطاياها لكشف زيف أيديولوجية الجماعات المتطرفة وتناقضاتها ، كما ساهمت في تفكيك رمزية ممارسات تلك الجماعات . ، ومناقضتها للغة الواقع . كما عملت على تمرير أيديولوجية الكاتب ، الذي عرض خطاب الجماعات بأسلوب سردي يعتمد وجهة نظر الراوي الظاهر ، الذي يقدم وجهة نظرة من الخلف ، la vision par derriere ، كما سماه تودروف وجان بويون ، أو التبئير الصفري عند جينيت focalization zero وهو يتعلق بالراوي الاله الذي يدرك كل شيء ، ويعلم ماخفي من الأشياء وماظهر ، وماهو في أعماق الشخصية وما تختص به أكثر مما تعلمه هي عن نفسها " 50

والراوي بفعله الإدراكي يسرد الرواية من خلال الشكل القولي ليثبت وجهة نظره تجاه تلك الجماعات من خلال مستويات الخطاب الروائي المتنوع ما بين : مكان / زمان / لغة / شخصيات / أحداث . بحيث يوظفها فنياً لتعكس وجهة نظره فكراً .

فالملكان تنوع برمزيتهم :

- " أبها " المدينة الحاملة المغلقة التي تحولت بفعل المد المتطرف من حقل منفتح لبوت مغلقة على أهلها ، والتي تحمل التناقضات بين أوديتها وجبالها" فالغلاة الشرسون والعادات الجديدة القادمة أقنعت الناس بأن يكبلوا نساءهم بهذه الأقمشة السوداء " 51

- مدرسة تحفيظ القرآن تحولت من مكان للعلم إلى منظومة قمعية متسلطة ، يقول زاهي : " في اللحظة الأولى التي أُلج بها المدرسة ... بي خوف ، وبي ترقب بدأت أسمع التهديد والوعيد ، كان المعلمون الدينيون يصرخون ويونخون الصغار ومر الوقت ومرت السنة الأولى - وعلمت أنني ناشب في دائرة من الخوف والعذاب والألم " 52

- **المدرسة الإعدادية العادية** ، مثلت منعطفًا نفسيًا مكانيًا هامًا لزاهي ، حيث تحول من طفل لمراهق مارس كل ماهو مخالف للأخلاق معبرًا عن تناقض نفسي حتمي للمرحلة التي سبقتها ، يقول : " بسرعة انتهت أيامي بتلك المدرسة الضد ، والتي استمرت لثلاث سنوات ، كانت الاعتناق بعد الكبت والفرج بعد الضيق والعبث بعد الحصار ، والحرية بعد المعتقل ، لقد كانتا مرحلتين متناقضتين في كل شيء ، ولا يوجد بينهما سوى أنها كانتا تصطرعان بداخل نفس واحدة " 53
- **المدرسة الثانوية وجماعة التوعية** ، في هذه المرحلة بدأ استقطاب زاهي للجماعات المتطرفة ، وقد استغلوا فصاحته وذكائه وحب الأطفال له ، ليكون عضواً من أعضاءها البارزين فيما بعد ، وفي مرحلة تعد الأخطر في حياة المراهق الفكرية ، والتي من أجلها تخلّى عن أهله ، وطرده من بيته ، لاعتقاده بأنهم من الخارجين عن الدين . يقول زاهي : " أواه كم كرهت عائلتي وبيتي ، الذي يعج بالموبقات والمعاصي كما كان مشرفوا الخيم يصفون أمثاله من البيوت ، لقد كان مملوءاً بالفساد من تلفاز وصور وأصوات الأغاني " 54
- **المراكز الصيفية** ، انشأتها جماعة التوعية ليستمر عملها أثناء الاجازات الصيفية ، مستغلة الطلاب في تمرير ونشر معتقداتها ، ومعتمدة أسلوب الترغيب بمكافأتهم برحلة للديار المقدسة في نهاية الإجازة " شاركت في المركز وأنشطته من أول يوم به كل شيء كان منهم ولهم وإلهم " 55
- وفي هذه المراكز وبعد انصهار زاهي في الفكر المتطرف أخبره زعيمهم بأنها منظمات سرية " على مستوى المناطق كلها ، يهدف إلى إقامة كيان جديد ، على هذه الأرض ، يحكم بشريعة الله وسنة رسوله وتخطط لهدم دول الكفر والظلم ، وتعمل لإعادة المجتمع إلى حياض الدين وإخراجه من جاهليته ، ثم حدثني عن سرية التنظيم ومدى خطورة الحديث عنه - أو البوح بأي شيء يخصه " 56
- **الجامعة** ، شكلت هي الأخرى مفصلاً فكرياً لزاهي ، حيث اقترب من الجماعة بشكل أكبر واكتشف تناقضاتهم ، وكذبهم ، فقد اتهموه بالشذوذ نظراً لوسامته ، وبدأت نيران الغيرة والحقد تطفئ على أفراد الجماعة ، عندها بدأت الرؤية تتضح له ، ويتكشف لديه زيف معتقدات هذه الجماعات فأعتكف لدرسه ، وتخرج من الجامعة بتفوق .بعد أن ظهرت مواهبه الحقيقة في الشعر وكتابة المقالة يقول زاهي معبراً عن تلك المرحلة من حياته : " انتهيت منهم ، وصرت إنساناً جديداً عليه أن يعتني بدراسته ، وأن يتمتع بالحياة ، وأن يعلم أن الله لا يجعل بينه وبين أحد أنشطة ، ولا جماعة ، وليس بحاجة الشيوخ ليربطونا به اقتنعت أن استعداد الأهل والمجتمع والدولة ، والعمل على تقويض كيانها ، وأن تكفير الناس لم ولن يكون مما يريد الله أبداً " 57
- **الرياض/البحرين/اليمن** ، مثلت أماكن الانطلاق والانفتاح الاجتماعي والفكري والشخصي - فقد غادر أباها لأول مرة مسافراً للبحرين ومنها للرياض ومنها لليمن التي كانت بوابته للالتقاء بنخبة الشعراء من العرب كأدونيس وعبدالعزیز مقالح ، وانطلقت موهبته الشعرية التي لفتت أنظار كبار نقاد العرب ، كما انطلقت موهبته الصحفية التي لفتت نظر أمير منطقة أبا خالد الفيصل لعين رئيساً لصحيفة النادي الأدبي بأبها ، فتحول من عضو في جماعة متطرفة لكاتب يكشف المفاهيم الدينية المغلوطة عند تلك الجماعات ، يقول : " بدأت في الكتابة

عن المفاهيم الدينية المغلوطة ، وكيف استثمر البعض تمثيله للدين " 58 ويقول في موضع آخر ملخصاً تحوله الأيديولوجي : " تيقنت أن الإنسانية هي الخلاص لهذا العالم ، وأن عليها أن تتخلص من كل الأيديولوجيات كما تخلصت منها لتحمل بداخلها الحب للكون كله " 59

أما الزمن فقد كان في مجمله استرجاعياً /استذكاريًا ، من خلال تقسيم الزمن الى فترات وهو ما يسمى بـ " الزمن الكرونولوجي " * اعتمد من خلاله الراوي على تسريد الأيديولوجيا الخاصة به من منطوق سابق إلى مناهض للتطرف من خلال استعراض مراحل حياته بالتتابع ، كما أنه استخدم أسلوب التدخلات المباشرة للراوي ، الذي اضاف سادولاي لأنواع المفارقات الزمنية ، فهو يرى " أن التدخلات المباشرة للراوي في الحكاية التي يحكيها - وإن كانت ظواهر تتعلق بالصوت السردى في الأصل - تصلها كذلك بالترتيب الحكائي أسباب . فهي تقطع نسقه التتابعى بإدراج حال التعليق الذي له صبغة تعميمية ...أو بإدراج الحال المزامن للسرد " 60

وتبدو اللغة في مجملها ذات طابع ذاتي ، غلب عليه السرد الداخلى من خلال ضمير الأنا ، وقد حضر الفاعل بصوت الراوي في هذه الرواية من خلال فعل الرواية القولى ، أما خطاب الشخصيات فغاب عن هذه الرواية إلا من خلال صوت الذات الساردة التي عبرت عن فعل التأثير الإدراكي للراوي بشكل واضح منذ بدايتها ..

وبالتالى يمكن اعتبار الرواية لراو لحكاية ذاتية ، فهو شخصيتها الرئيسة ، لذا فصوته الأعلى على باقي الشخصيات الواردة في الرواية .

أما الراوي ، فقد شكل حضوره علامة بارزة في النص الروائى على افتراض وجود علاقة وصل بينه وبين الكاتب الحقيقي ، كما ذهب لذلك محمد الحبو حين أقر بأهمية النظر في الأسباب الواصلة بينها من خلال " ما يمثّل من قرائن في النص الروائى مع ضرورة التمييز بين الراوي كائنًا متخيلاً يروي عالماً قصصياً والكاتب كائنًا تاريخياً " 61

وبذلك يمكن القول أننا أمام رواية مؤدلجة اتخذت السرد الروائى لتمرير تأثير الجماعات الدينية المتطرفة التي تعتقد بكفر المجتمع والدولة ، وكشف خباياها وزيف واقعها من خلال عنصر من عناصرها .

ثانياً : الأدلجة الاجتماعية

ويظهر النوع الثانى من تسريد الأدلجة في نماذج من الرواية السعودية وفق الترسية الآتية :

الأنثى / الأنثى	الهو / المذكر
الأنثى / الأنثى	الهم / المجتمع

وهي ثنائية انطلقت من واقع النصوص المدروسة ، وهيمنة الأدلجة الاجتماعية من خلال موقف الأنثى من الآخر بشقيه الفردى والجمعي .

فالنص السردى في علاقته بالمتخيل والواقعي يعتبر بناء ثقافياً يقوم على فعل الاختيار الصادر عن (أنا) مدركة لعالم موضوعي - لذلك " فالنص السردى في رحلته من الواقعي إلى المتخيل ، ومن المتخيل إلى الواقعي يمر عبر تسنين مزدوج : تسنين سردى (الأشكال السردية المستوعبة لفعل القص) وتسنين أيديولوجي (نمط بناء القيم وتشخيصها) " 63

1- الأنا / الهو .

نقصد بالأنا : الذات المروية على لسان الأنا في النصوص القصصية المدروسة ، وكيف عبرت من خلال أنها عن الفكر الأيديولوجي السائد- لعلاقة المرأة بالرجل - في تلك المرحلة التاريخية للمملكة العربية السعودية .

وهي أنا أنثوية كما ظهرت في رواية " قلب من بنقلان " لسيف الإسلام بن سعود 64، وما يهمنها ظهورها في شكل تلفظ لغوي مؤدج ، أي أنها تتمثل " في كفاءة المتلفظ على أن يتنزل في خطابه ذاتا " 65 وبالتالى تمريره لخطابات فكرية تتعلق بعلاقة الأنثى بالرجل في ذلك المجتمع ، وذلك الزمان والمكان تحديدا .

ونحن هنا أم جنس روائي سير ذاتي ، 66. استطاع الكاتب أن يمرر من خلاله الواقع الأيديولوجي لعلاقة الرجل بالمرأة في تلك الفترة من عهد الملك سعود رحمه الله .

فالأنثى / الأنا تعيش واقعا إنسانيا صعبا كونها جارية تزوجها الملك سعود ، أنجب منها ، لتصبح والدة الأمراء بدلا من جارية القصر في ثنائية متضادة بين العبودية والحرية .

لتعرض للقارئ حكايات الرق والعبودية في الخليج العربي إبان بدايات القرن العشرين / وهي حكايات كان الرجل فيها الطرف الآخر ، الذي انتهك طفولتها وسرقها من مدينتها " بلوشستان : لتعيش مراحل من الرق انتهت في الرياض بعد أن أصبحت والدة لأبناء الملك سعود .

تقول نائلة " كل ماجرى للبلوشيات الصغيرات يماثل قطرة في بحر ومحيطات تاريخ البشر ، امتداد مياه لا يتوقف توسعها أبدا ، لأنها تستمد جذورها من أنهار وينابيع وأحزان الناس ومآسهم ، على مدى الزمان ، أينما كان المكان " 67

فالبيئة الضامة الرئيسة في هذه الرواية : الرق والعبودية التي عاشتها الأنثى بدءا من اختطافها وصولا للملك سعود كجارية . وبداخل هذه البيئة تتمظهر البنية المضمومة لتأسس خطابها على زيف العلاقة بين الأنا / الآخر ، فهي علاقة عبودية

وليست زواجا بالمعنى الطبيعي ، تقول عن علاقتها بالرجل / السيد : " المرأة تحتاج للأنامل الرقيقة المداعبة

لخصلات شعرها والمكفكة لدموعها ، تحتاج لذراعين تحيطان بكل أنحاء جسدها لتقول لها بدون كلمات ولا صخب ..

تحتاج المرأة لكل هذا- أكثر من دلائل السطوة ووجاهة زوج يتقلد مشيخة أو سلطة ..أو مملكة " 68

وتقول أيضا واصفة العلاقة بين المرأة والرجل في تلك الأجواء : " هذا شاهد ي (بني) لنادرية العلاقات الحميمة بين

الرجل والأنثى ، ولحب بمعناه المجرد ، عند سادة القصور مهما اختلفت أسماء مناصبهم " 69

وهنا تتلاقى الذات الفردية للذات الراوية والجمعية لكل الإماء (الجاريات) في قصور الملوك والأمراء ، ليتحول ضمير

المتكلم " الأنا " ليشمل أيضا " نحن " يقول عز الدين إسماعيل واصفا ذلك بأنه : " اللقاء الحقيقي بين الذات المتفردة

والذات الجماعية " 70

تقول الراوية عن صوحيباتها : " الأبسط من هؤلاء البسطاء هو (أنا) ومن معي من الإماء (المستوردات) من خارج

البلاد السعودية للاستهلاك المحلي في قصور الملوك والوجهاء " 71

فالمعاناة فردية جمعية بحق تلك النسوة إزاء رجل قرر امتلاكهن ، وتحويلهن لجاريات في قصره بمرتبة والذات الأمراء لا

زوجات الملك ، تقول عن هذا الوضع غير الطبيعي بين الرجل وزجته : " كنت خائفة (ومتفترزة) من المجهول الرجالي ،

ولكنني كنت أيضا في نفس الوقت أتطلع إلى أن ترافقني تلك الحالة (الملامسة) مع الشيوخ إلى مرتبة (أم الولد)

والتي بعدها تصبح الواحدة منا - نحن السراري - حرة لا تباع ولا تشتري وتحمل - أي أنا وغيري - صفة أم

الأبناء ولادة العهود والملوك " 72

في هذه الحالة الخطائية السردية تصبح " الجارية " أو " الأمة " أو " السراري " علامة لغوية لها خلفياتها التاريخية والاجتماعية وبالتالي الأيديولوجية في المجتمع العربي عموما والسعودي خصوصا قبل تحرير العبيد في عهد الملك فيصل لرحمه الله .

ونحن هنا أمام إشكالية القصيدة ، وتعالقها بالجانب التواصل الذي يظهر من خلال ما أقره باختين من أهمية اعتبار الجانب التواصل في مقارنة العلامة اللغوية ، التي لا يمكن أن تخلو من أيديولوجيا ، يقول : " لا نأخذ اللغة بوصفها نظام مقولات صرفية ، نحوية مجردة ، بل اللغة الممتلئة أيديولوجيا ، اللغة بوصفها نظره إلى العالم " 73 وبالتالي فإن " نائلة " الجارية والدة الأمراء فيما بعد تسرد أيديولوجية الرق والعبودية في قصور الملوك والأمراء في تلك الحقبة من الزمن ، سردا مقصديا تأخذ من اللغة أداة كاشفة عن وضع الأنثى / الآخر – الرجل السيد أو الملك أو الأمير في خطاب نصي روائي متخيل .

وبالتالي فإن علاقتها به علاقة متناقضة بين شعورها بالدونية أو شعوره بالتسلط والعلو الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وربما الإنساني ، تقول : " الغريبة يا (بني) ..أنك لم تسألني عن بريق الحب : هل رأيته في عيون والدك أم لا ؟ لم أشاهد شخصا هذا النوع من الوميض اطلاقا في عيون والدك ، ولم تخبرني واحدة من (أخواتي) أمهات العيال أنها شاهدته في عين (أبي فهد) نحن شاهدت وشاهدت (أخواتي) ذياك النداء الذي تطلقه العيون الراغبة في ترجمة نداء الغريزة ، وهذا يختلف كثيرا عن البريق الذي تبحث عنه المرأة " 74

وكانت النتيجة أن تخلصت الذات من شعورها بالجسد أمام سلطة الروح ، وتجردت مما تفرضه العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة لتتحول لنجاسة عليها أن تتخلص منها كل ما لامس جسدها سيدها لتتطهر روحا وجسدا ، تقول : " منذ عرفت العلاقة بين الرجل والمرأة ، معنى وتطبيقا ، أشعر أن هذه العلاقة محمّا تكن سامية وشرعية وحتى ضرورية ، أشعر أنها تقيض حالة التطهر الأمر السوي أن أبقى آثار لمسات والدك ورأحتي في كل أنحاء جسدي ..لم لا ؟ فهو الملك المهاب صاحب الشخصية الطاغية الذي تحبه النساء ، ولكني – أنا – وحدي كنت أرفض كل هذا ، فأغتسل واغتسل حتى لا أترك تلك اللمسات ..من (الملك)..أقول من (الملك) أثرا في جسدي " 75

إذن ، نحن أما ثنائية الأنا / الآخر ، وهي من أكثر الثنائيات بروزا في الأدب بشكل عام والروائي بشكل خاص ، كونها تقوم في الواقع الإنساني " على أساس من التعارض ، إن لم نقل التضاد وهكذا تقوم العلاقة بين الذات والموضوع على الدحض والشك أو العداوة ، أو عليها مجتمعة " 76

واللافت للنظر أن تلك الثنائية برزت في الأدب العربي من خلال الأنا / الرجل مقابل الآخر / الأنثى ، وقد أشار لذلك حسن النعمي ، فهو يرى : أن الأنا في الرواية العربية يمثلها رجل بينما يمثل الآخر في الغالب المرأة في مفارقة وصفها بالعجبية في الصراع بين العرب والغرب 77 ، وفي النماذج المدروسة كانت الأنا من نصيب الأنثى في مقابل الآخر / الرجل .

وبزرت الفكرة المضمومة من خلال تفكيك رمزية العلاقة بين المرأة والرجل ، فتضافرت عناصر الخطاب السرد لتعكس نوعية العلاقة بين جارية وسيدها ، الذي أصبح أبا لأولادها فيما بعد .

لذا تنوعت الأماكن ما بين : بلوشستان / الأحساء / الرياض بقصوره ، وهي في مجملها أماكن طاردة ومنفرة للأنثى ، التي فقدت هويتها الإنسانية بعد بيعها كجارية في القصور .

والزمان كان في مجمله استرجاعيا من خلال الذات الساردة لتاريخ أسرها ، ومن ثم بيعها للأمير الأحساء ، وصولا لإهدائها

للملك سعود .

كما بدت اللغة اعترافية طغى عليها ضمير المتكلم الذي يروي من خلال الفعل الماضي ما مرته به في حياتها .

2- الأنا / المهم .

نقصد بهذه الثنائية موقف الأنا من الجماعة أو المجتمع المحيط بها ، وهو موقف أيديولوجي يعكس رغبتها بالتححر من أطر قيود العادات والتقاليد التي تميز في موروثها بين الذكر والأنثى ، وتمارس قمعا اجتماعيا مقننا ضد الذات الأنثوية .
ظهر هذا في رواية " الفردوس اليباب " لليلى الجهني . إذ تشكل الراوي في صورة راو من الدرجة الأولى ، حاضر في الحكاية ، من خلال تبئير داخلي .

فهي رواية اعترافية - طغى عليها المونولوج الداخلي بطابعه الدرامي ، الذي تواجه فيه الذات الرواية - في فكرتها الضامة - قارئها بنهاية فردوسها اليباب ، بعد أن فشلت قصة حبها التي انتجت جنينا ، انتهت بالتخلص منه ، كون المجتمع رفض علاقتها بحبيبها .

فالمجتمع سخر من تعليم المرأة ، الذي كان من نتائجه انفتاحها الاجتماعي والأخلاقي غير المبرر ، تقول : " لا وأنت الصادق ، هذا اللي كسبناه من تعليمهن . علم بنتك ولا أختك عشان تطلع بكره في الشارع تنادي واعرباه ، وش يدريك ساعتها عرباه ولد من ! " 79

كما أنه سخر من دور المرأة العاشقة ، تقول الرواية : " المرأة نار لا يقربها إلا مغامر ، أو مقامر ألم تدري أنك كيان ناقص غير جدير بالثقة ولا يحق له أن يجرب ؟ المرأة التي تجترئ على أن تخوض التجربة سيسقط على رأسها تاج الفضيلة وستهوى في الدرك الأسفل من جهنم " 80

فهي كيان يمنع عليه التجربة والحب ، كونها مخلوق ناقص في نظر المجتمع ، يحرم عليه ما يحلل لغيره من ذكور ذات المجتمع في ثنائية متناقضة للممنوع والمسموح للجنسين على حد سواء .

وقد حاولت الرواية أن تتخذ من أسلوب الاعتراف الذاتي وسيلة فنية حوارية منولوجية لتعبر عن شعورها بالخزي والعار الذي أحقه بها المجتمع ، ولتفكك بنية الرواية المضمومة من خلال توظيفها لمستويات السرد الخطائي ، كون البنية المضمومة تهدف ل: " تفسير وتشعيب البنية الضامة " 81 تقول : " أما أنا فلأرتد في جهنم سبعين خريفا ، أنا التي غافلت الحرس وولجت الفردوس قبل أن يأذن h لمخلوق " 82

وقد صاغت الكاتبة روايتها بأسلوب شعري غنائي ، باعتباره ملمحا من ملامح الذاتية في الرواية العربية ، وباعتبار علاقة الراوي بفعل السرد علاقة حضور في المستوى الأولي ، من ذلك استخدامها للتكرار سواء أكان لكلمات بعينها أم لأسماء رمزية ، ومنها " الدانتيل " باعتبارها علامة مؤشرة ذات بعد طبعي ، يقول فاخوري عادل : " فالدلالة الطبيعية : هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه كاستلزام الدخان للنار ، أما الدلالة الوضعية فهي الدلالة المتعارف عليها بمعنى جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني " 83

تقول عن الدانتيل ، كعلامة طبيعية بين الدال والمدلول ، باعتبارها رمزا للثراء والفخامة تقول : " الغيم يتناثر في أرجائها مثل مخرمات الدانتيل . دانتيل " 84

وتقول عن الفردوس المفقود " كل شيء انتهى وغار في الأعماق السحيقة حتى الفردوس المفقود في السماء وليست على الأرض ، الفرايس للأنبياء وليست للخاطئين . الفرايس تفر مني " 85

وفي ثنائيات رمزية لفظية عبرت الذات عن شعورها بالخطيئة ، كونها عاشت قصة حب لا يرضى عنها المجتمع المحيط بها ، بل ويصفها بصفات تخرجها عن جنة الله في الأرض والسماء . لذلك فقد شكلت ثنائية جهم / العذاب الأبرز في هذه الرواية ، والأكثر ورودا للدلالة على رمزية المكان أي " الفردوس اليباب " ، فهو مكان مفقود في مجتمع الشخصية الرئيسة " صبا " ، ذلك المجتمع الذي يحرم الحب وينتقده ، ويخرج أصحابه من فردوس الأرض والسماء ، لتبدو كمخلوق وحيد منبوذ ، لذلك تشاركت ثلاثية (الفردوس المفقود - الدانتيل - الشموع) في وصف فقد الذات الأنثوية لهويتها الاجتماعية .

فالدانتيل ترمز للأنوثة والثراء الذاتي والاجتماعي ، والشموع ترمز للرومانسية المفقودة ، والفردوس اليباب يرمز للجنة المفقودة في الأرض والسماء ، تقول : " تحترق الورود وتحترق القبل والأكاذيب التي تشابكت حول قلبي مثل الدانتيل "

86

إذن - نحن أمام ذات متشظية ومحبطة ومضطهدة بفعل المعتقدات الاجتماعية المحيطة بها ، والذي عبرت عنه الرواية من خلال فعل التبذير الداخلي لما تشعر به إزاء ذلك . وقد استخدمت الكاتبة في إيصال ذلك الكثير من العلامات السيميائية بحيث تخضع تلك العلامات (الدانتيل - الشموع - الفردوس اليباب) لعملية الإدراك التي تخضع بدورها لمعارف قبلية لدى المتلقي القادر على قياس درجة الانزياح عن الأصل ، يقول سعيد بنكراد إن : " ادراك الواقع عبر العلامة الايقونية لا يتم اطلاقا مما تشتمل عليه هذه العلامة من عناصر قادرة على احالتنا على تجربة واقعية ، بل يتم عبر معرفة سابقة " 87

وقد وظفت الكاتبة عناصر السرد لتمرير أيديولوجيتها الخاصة بعلاقة المرأة بالرجل في المجتمع السعودي خلال الفكرة المضمومة ، التي فككت الخطاب السردى ليعكس الفكر الأيديولوجي للرواية ، سواء من خلال :

- المكان . الذي سجل حضورا لافتا للنظر فغرفة الإجماض مكان منفر ومحبط وقاتل لبذرة الحب في أحشائها ،

تقول : " إذ أدخل تعروني برودة الأشياء من حولي : أرض عارية مثل روجي والمرأة توصل الباب

.....وعيناى تجولان في الغرفة بحثا عن نافذة أو كوة صغيرة ، أرى من خلاله الغيم والسماء والعصافير

فتعودان خائبتين " وهذا ما يشر اليه سعيد بنكراد بنمط الانتقال " من المادة المضمومية إلى الجزئيات (أشكال

التجلي) هو ما يحدد فعلا مانطلق عليه الأيديولوجيا " 89

- الزمان ، اعتمدت الكاتبة الزمن الاسترجاعي - للعودة للماضي القريب الذي أودى بها لهذه النهاية . ، وهو في مجمله

زمن مضمن ، بمعنى تضمين الفترة الزمنية أكثر من ذات روائية ، فالرواية صورت موقفها الخاص تجاه الأحداث

التي مرت بها في فترات زمنية متنوعة .

- اللغة ، في مجملها لغة رمزية استعانت بالاستعارات المجازية لتمرير أيديولوجيتها الخاصة .

وبذلك تكون رواية " الفردوس اليباب " رواية اجتماعية عبرت من خلالها الذات عن موقفها إزاء اضطهاد المجتمع للعلاقة

بين الذكر والانثى - وهي رواية مؤدلجة ركزت على الفرد الاشكالي - كما أشار لذلك لوسيان جولدمان - الذي مثل

الشخصية الرئيسة في الرواية ، كونه يحمل وعيا اشكاليا خاصا بذاته في الحياة الاجتماعية المحيطة به ، ومن ثم فهو "

يشكل مدخلا أساسيا لقراءة العمل الروائي " 90

كما يمكن عدها رواية مؤدلجة قامت بوصفها إضفاء للشرعية ، من خلال محاولات سحب الرمزية عن الحياة الممارسة ،

وبناء وتعميم الرمزية ، وعن هذا النوع من أدلجة العمل الأدبي يقول عبداللطيف محفوظ : " من الواضح أن المرجع الأساسي لهذا المعنى ، يعود إلى عدم دقة الروابط الآلية بين شكل الوجود الواقعي ، وعالم الأفكار التي ليست بالضرورة انعكاسا له بقدر ماهي انعكاس لتمثلات مختلفة عما يورثه التنظيم الاجتماعي " ⁹¹

خاتمة .

- توصل هذا البحث لعدد من النتائج ، منها :
- 1- أهمية العلاقة بين الجنس الروائي والأيدولوجيا المحيطة به ، سواء أكان ذلك على مستوى الفرد أم الجماعة .
 - 2- قدرة الروائيون ترميز الأدلجة الخاصة بهم ، من خلال تسريد الخطاب الروائي ، لتبدو عناصره محملة بفكر أيديولوجي موجه .
 - 3- تنوع معان الأيدولوجيا في النصوص المدروسة ما بين :
 - التشويه (الآخرون)
 - الإضفاء للشرعية (الفردوس اليباب)
 - الإدماج (الإرهابي - قلب من بنقلان)
 - 4- استطاعت الأدلجة أن تسرد ، كما استطاع السرد أن يؤدج بشكل أظهر العلاقة القوية بين الأدب والمحيط الاجتماعي /السياسي /الديني المحيط به ، كونه من البنى النصية العلوية التي تعكس واقعا اجتماعيا حقيقيا في بعض ثيماته .
 - 5- استطاع الخطاب السرد في مستوياته المتعددة (زمان - مكان - لغة - شخصيات) أن يعبر عن الأدلجة التي أراد كاتب النص الروائي ترميزها في خطاب أدبي .
 - 6- تعددت الأدلجة في النصوص المدروسة ما بين :
 - أدلجة دينية (الإرهابي - الآخرون)
 - أدلجة اجتماعية (قلب من بنقلان - الفردوس اليباب)
 - 7- إيمان البحث بأن الأدلجة المطروحة في النصوص الروائية قد لا تكون هي ما يؤمن به كاتب النص ، انطلاقا من أهمية الفصل بين الكاتب والراوي ، لكنها في الوقت ذاته عكست فكر الراوي الذي ارتبط بعلاقي حضور من الدرجة الأولى مع الكاتب .
 - 8- انطلق البحث في دراسة البناء الشكلي للروايات المدروسة من بنيتين :
 - البنية الضامة ~~تتصل بالحكاية~~ (مناطق الموقف الأيدولوجي)
 - البنية المضمومة ~~تتصل بتشكيل الخطاب~~ الأيدولوجي في مستواه الخطابي

هوامش الدراسة:

- 1- سعيد يقطين، *افتتاح النص الروائي "النص والسياق"*، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1988م، ص: 150
- 2- محمد مفتاح، *تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"*، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005م، ص: 120
- 3- إلسبرغ ياكوف، *المنحى السوسولوجي في النقد الأدبي*، ترجمة نوفل نيوف، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد العرب، دمشق، ع 1، 1978، ص: 73
- 4- سعد البازعي، *دليل الناقد الأدبي*، بيروت، المركز الثقافي العربي - ط4، 2005م، ص: 155
- 5- مكديونيل ديان، *مقدمة في نظرية الخطاب*، ترجمة عز الدين إسماعيل، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1، 2001م، ص: 104
- 6- سعيد ادوارد، *العالم والنص والناقد*، ترجمة عبدالكريم محفوظ، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2000م، ص: 103
- 7- الطيب بودريال، *الواقعية في الأدب*، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة خيضر، بسكرة، العدد 7، 2005م، ص: 55
- 8- حميد لمحمداني، *النقد الروائي والأيدولوجيا*، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م، ص: 26
- 9- السابق، ص: 33
- 10- السابق، ص: 32
- 11- السابق، ص: 43
- 12- السابق، ص: 33
- 13- نقلا عن: عبداللطيف محفوظ، *بناء الدلالة الأيدولوجية في الرواية العمانية*، منشور في كتاب "الرواية العمانية برؤية عربية"، بيروت، دار سؤال، ط1، 2016م، ص: 174
- 14- السابق، ص: 174
- 15- السابق، ص: 175
- 16- السابق، ص: 175
- 17- السابق، ص: 176
- 18- حميد لمحمداني، *النقد الروائي والأيدولوجيا*، ص: 32
- 19- عبداللطيف محفوظ، *بناء الدلالة في الرواية العمانية*، ص: 176-177
- 20- السابق، ص: 177
- 21- السابق، ص: 177
- 22- السابق، ص: 177
- 23- السابق، ص: 177-178
- 24- السابق، ص: 178
- 25- عبداللطيف محفوظ، *بناء الدلالة الأيدولوجية*، ص: 179
- 26- السابق، ص: 179
- 27- السابق، ص: 179
- 28- السابق، ص: 180-181

- 29- صبا الحرز ، الآخرون ، بيروت ، دار الساقى ، ط1 ، 2006م
- 30- عبدالله ثابت -الارهابي - سوريا ، دار المدى ، 2006م.
- 31- الآخرون ، ص: 17-18
- 32- السابق ، ص: 30-31
- 33- السابق ، ص: 40
- 34- السابق ، ص: 54
- 35- السابق ، ص: 57
- 36- الآخرون ، ص: 59
- 37- السابق ، ص: 60
- 38- السابق ، ص: 60
- 39- محمد الخبو ، الخطاب القصصي في الرواية المعاصرة ، تونس ، دار صامد ، ط1 ، 2003م ، ، ص: 324
- 40- الآخرون ، ص: 68-69
- 41- عبداللطيف محفوظ ، بناء الدلالة الأيديولوجية في الرواية العمانية ، ص: 174
- 42- السابق، ص: 181
- 43- عبداللطيف محفوظ ، بناء الدلالة الأيديولوجية في الرواية العمانية ، ص: 181
- 44- انظر حميد لمحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، 2000م ، ص: 47
- 45- سيزا قاسم ، بناء الرواية ، " دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ " القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1984م ، ص: 134
- 46- نقلا عن نجيب العامي ، الراوي في السرد العربي " رواية الثمانينات في تونس " تونس ، دار محمد الحامي ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، 2001م ، ، ص: 357
- 47- عبداللطيف محفوظ ، بناء الدلالة الأيديولوجية في الرواية العمانية ، ص: 176
- 48- الارهابي ، عبدالله ثابت ، ص: 49
- 49- الارهابي ، ص: 58
- 50- السابق ، ص: 65-66
- 51- محمد الخبو ، الخطاب القصصي ، ص: 413
- 52- الارهابي ، ص: 51
- 53- السابق ، ص: 54-55 وانظر الممارسات التعذيبية للأطفال في المدرسة ، ص: 56-59
- 54- السابق ، ص: 67
- 55- انظر ممارسات الجماعات وسلوكياتها الفكرية والاجتماعية والدينية بداخل ما يسمى بـ " جماعة التبوية " ص: 69-85
- 56- الارهابي ، ص: 84
- 57- السابق ، ص: 88
- 58- السابق / ص: 91 وانظر لممارسات تلك المراكز اليومية ومنهجها الفكري ، ص: 93-125

- 59- الإرهاني ، ص: 147-148
- 60- السابق - ص: 169
- 61- محمد الحبو ، *الخطاب القصصي* ، ص: 90
- 62- نجيب العامي ، *الراوي في السرد العربي* ، ص: 357
- 63- سعيد بنكراد ، *النص السردى ، نحو سمياتيات للأيدولوجيا* ، دار الأرمات ، الرباط ، ط1، 1996م ، ص: 9
- 64- قلب من بنقلان ، سيف الإسلام بن سعود ، بيروت ، دار الفارابي ، دت -
- 65- محمد حيزم ، *في مسألة الذات وأحوالها في ديوان البحري* ، تونس ، مجلة الموارد ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 2005م ، ص: 9
- 66- للباحثة دراسة خاصة عن ثنائية الأثى والمكان في رواية قلب من بنقلان ، منشور في مجلة الاستواء ، جامعة قناة السويس ، العدد 4 ، المجلد الأول - فبراير 2017
- 67- *قلب من بنقلان* ، ص: 85-86
- 68- السابق ، ص:
- 69- *قلب من بنقلان* ، ص: 30
- 70- عزالدين إسماعيل ، *الشعر العربي المعاصر* ، بيروت ، دار العودة ، ط5، 1988م ، ص: 397
- 71- قلب من بنقلان ، ص: 281
- 72- السابق ، ص:
- 73- ميخائيل باختين ، *الكلمة في الرواية* ، ترجمة يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط1 ، 1988م ، ص: 21
- 74- قلب من بنقلان ، ص: 246
- 75- السابق ، ص:
- 76- عزالدين إسماعيل ، *الأنا والأنا* ، مؤتمر جدلية الذات والآخر ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، 2002 ، ص: 54
- 77- حسن النعمي ، *الرواية السعودية واقعا وتحولاتها* ، وزارة الثقافة والإعلان ، وكالة الوزارة للشؤون الثقافية ، الرياض ، دط ، 2009م ، ص: 52-53
- 78- *الفردوس اليباب* ، ليل الجهني ، ط1، ألمانيا ، دار المجل ، 1999م
- 79- السابق ، ص: 36
- 80- السابق ، ص: 67
- 81- عبداللطيف محفوظ ، *بناء الهلالة الأيدولوجية في الرواية العمانية* ، ص: 183
- 82- الفردوس اليباب ص: 184
- 83- عادل فاخوري ، *حول إشكاليات السميولوجيا* ، مجلة عالم الفكر ، مج 24، ع 3- 1996م ، ص: 180
- 84- الفردوس اليباب ، ص: 220
- 85- السابق ، ص: 32-33-34-37
- 86- الفردوس اليباب ، ص: 32
- 87- سعيد بنكراد ، *النص السردى ، نحو سمياتيات للأيدولوجيا* ، الرباط ، دار الأرمات ، ط1، 1996م ، ص: 16
- 88- *الفردوس اليباب* ، ص: 20-21

89- سعيد بنكراد ، النص السري ص: 24

90- جان لوي كاباناس ، النقد الأدبي والعلوم الإنسانية ، ترجمة فهد عكام ، سوريا ، دار الفكر ، ط1 ، 1982م ، ص: 83

91- عبداللطيف محفوظ ، بناء الدلالة الأيديولوجية في الرواية العمانية ، ص: 175

المصادر والمراجع.

1- المصادر.

- سيف الإسلام بن سعود ، قلب من بنقلان ، بيروت ، دار الفارابي ، د-ت.
- صبا الحرز ، الآخرون ، بيروت ، دار الساقى ، ط1 ، 2006م
- عبدالله ثابت ، الإرهائي ، سوريا ، دار المدى ، 2006م
- ليلي الجهني ، الفردوس اليباب ، ألمانيا ط1 ، دار الجمل ، 1999م .

2- المراجع.

- جان لوي كاباناس ، النقد الأدبي والعلوم الإنسانية ، ترجمة فهد عكام ، سوريا ، دار الفكر ، ط1 ، 1982م
- حسن النعمي ، الرواية السعودية وتحولاتها ، وزارة الثقافة ، وكالة الوزارة للشؤون الثقافية ، الرياض ، د-ط ، 2009م
- حميد الحمداني ، النقد الروائي والأيديولوجيا ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1990م
- بنية النص السري من منظور النقد الأدبي ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، 2000م
- سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط4 ، 2005م
- سعيد أوداد ، العالم والنص والناقد ، ترجمة عبدالكريم محفوظ ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، 2000م.
- سعيد بنكراد ، النص السري ، نحو سمائيات للأيديولوجيا ، الرباط ، دار الألمان ، ط1 ، 1996م
- سعيد يقطين ، افتتاح النص الروائي " النص والسياق " ، بيروت / المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1988م .
- سيزا قاسم ، بناء الرواية ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، د-ط ، 1984م
- عبداللطيف محفوظ ، بناء الدلالة الأيديولوجية في الرواية العمانية ، منشور في كتاب " الرواية العمانية برؤية عربية ، بيروت ، دار سؤال ، ط1 ، 2016م
- عزالدين إسماعيل ، الأنا والأنا ، مؤتمر جدلية الذات والآخر ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، 2002م
- الشعر العربي المعاصر ، بيروت ، دار العودة ، ط5 ، 1988م
- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري " استراتيجية التناص " ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط4 ، 2005م

- محمد الخبو ، الخطاب القصصي في الرواية المعاصرة ، تونس ، دار صامد ، ط1، 2003م
- ميخائيل باختين ، الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاق ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، ط1، 1988م
- مها القصراري ، الزمن في الرواية العربية ، الأردن - دار الفارس للنشر ، ط1، 2004م
- مكسويل ديان ، مقدمة في نظرية الخطاب ، ترجمة عزالدين إسماعيل ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، ط1، 2001م
- نجيب العامي ، الراوي في السرد " رواية الثمانينات في تونس " تونس ، دار الحامي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 2001م
- 3- المجلات العلمية .
- أحمد حيزم ، في مسألة الذات وأحوالها في ديوان البحري ، تونس ، مجلة موارد ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 2005م
- إلسبرغ ياكوف ، المنحى السوسولوجي في النقد الأدبي ، ترجمة نوفل منيف ، دمشق ، مجلة الآداب الأجنبية ، اتحاد العرب ، العدد 1 ، 1978م
- الطيب بودرياله ، الواقعية في الأدب ، مجلة العلوم الإنسانية ، بسكرة ، جامعة خيضر ، العدد 7 ، 2005م
- عادل فاخوري ، حول إشكاليات السيمولوجيا ، مجلة عالم الفكر ، مج 24، العدد 3، 1996م .